

## «ال».. عبادة المعنى أم اللفظ؟



ـ الاسم بكسر الهمزة وضمنها في اللغة هو اللفظ.. الموضوع على جوهر أو عرض لتعبيينه وتميزه عن غيره، وقد بذل الباحثون حول الاسم جهوداً كثيرة، ولكلــ قوم فيه رأي، فلننحاة رأي غير رأي الفلاسفة وللمتكلمين رأي يختلف عن رأي الأصوليين وللعرفاء رأي يختص بهم وهكذا، والذي يهمنا النظر فيه هو أنــ الإسلام ما يعرف به ذات الشيء وعليه يصح القول باشتقاقه من السمة بمعنى العلامة، فالاسم كــة لشيء، فالتعبير عنه بــ "المعرف" أقرب إلى الأذهان من التعبير عنه بالدال، ولا دور له في الحكاية عن المسمى إــلا مجرد التمييز عن الغير، والبحث عن كونه عين المسمى أو غيره لا طائل تحته، أو ضرورة وضوح الأمر، ولا نرى حاجة إلى تفسيره بما يؤدي إليه التحليل النظري من القول بمعنى الاسم اسماً وبالأوصاف الدالة على الذوات أسماء لعود الأمر إلى نفس المعنى بالنتيجة وهو التمييز، كما لا نرى حاجة إلى ذكر ما قيل أو يقال فيما وقع بين المتكلمين في المصدر الأولــ من الإسلام من المشاجرات في عينيــة الاسم مع المسمى وغيريته.

وأما ما روى عن الإمام أبي الحسن الرضا (ع) عن الاسم بقوله: هو صفة لموصوف، فمعنىــه انــ الاسم ما يعرف به مسماه أو يوصف به، وهو عالمة للمســمى وآية له كما هو المتعارف في استعمالاتنا العامة في الحياة الفردية والاجتماعية بأنــ نسمي شيئاً باسم خاص لتميــزه بما سواه كما نسمــي كتاباًــ فقهــياًــ في هذا مجال لتميــزه عن سائر الكتب المؤلفة في ذلك العلم، وتسمــية المدن والمناطق كذلك لتميــز عن غيرها، وكذا الحال في سائر الأمور، فــما نسمــيه لشيء فهو لتميــزه عن غيره ليس إــلا.

وأمــا أقسام الاسم فهي بلحاظ المتعلق، فقد يكون اسم عــين بحــكيــته عن معنىــ يقوم بالذات وأــسم معنىــ بــحــكيــته عن معنىــ وصفــيــ، وجودــياًــ كانــ كالعلم أو عدمــياًــ كالجهل، ولا يخفــيــ خــلوــه عن زمانــ بأــصلــهــ، فدورــ الاسمــ بالنسبةــ إلىــ المسمــىــ تعريفــهــ وتمــيــزــهــ عنــ ماــ ســواــهــ وــتعــبيــينــهــ،ــ هــذــاــ كــلــهــ يــتــعلــقــ بــالــاســمــ لــفــطاــ وــمعــنىــ،ــ وــأــمــاــ بــالــنــســبــةــ إــلــىــ اــســمــ اــســبــحــانــهــ وــتــعــالــىــ فــيــهــ بــحــثــ عــلــمــيــ فــالــحــدــيــثــ عــنــ تــارــيــهــ بــأــنــهــ ســبــحــانــهــ هــلــ لــهــ اــســمــ خــاصــ يــنــطــبــقــ عــلــيــهــ مــاــ ذــكــرــنــاــ مــنــ تــعــرــيفــ اــســمــ أــمــ لــاــ؟ــ وــإــذــاــ كــانــ لــهــ اــســمــ فــهــلــ ذــاكــ اــســمــ يــحــكــيــ عــنــ ذــاتــهــ وــيــدــلــ عــلــيــهــ كــمــاــ هــوــ دــوــرــهــ فــيــ غــيــرــهــ تــعــالــيــ أــمــ لــاــ؟ــ وــأــخــرــىــ عــنــ تــقــدــمــهــ عــلــ الذــاتــ وــتــأــخــرــهــ،ــ وــثــالــثــةــ عــنــ قــدــمــهــ وــحــدــوــثــهــ،ــ وــرــابــعــةــ عــنــ وــحدــتــهــ وــتــعــدــدــهــ وــهــكــذاــ،ــ وــالــعــدــةــ فــيــ الــمــبــاحــثــ كــلــهــاــ النــظــرــ فــيــ عــلــاقــةــ الــاســمــ بــذــاتــ الــوــاجــبــ تــعــالــىــ شــأــنــهــ.

لفظ الجملة "الــ"ــ اسمــ خــاصــ للــذــاتــ الــمــتــعــالــيــةــ،ــ وــهــوــ عــلــمــ لــاــ يــجــوزــ اــطــلــاقــهــ عــلــيــهــ غــيــرــهــ تــعــالــىــ بــوــجــهــ لــامــكــانــ توــصــيــفــهــ بــســائــرــ الــأــســمــ الــحــســنــىــ لــاــ بــالــعــكــســ،ــ وــهــوــ لــيــســ بــاســمــ يــكــونــ لــهــ دــوــرــ الــحــكــاــيــةــ وــالــدــلــالــةــ بــلــ الــحــقــ"ــ أــنــ

يقال بأنّ لفظ الجلالة له دور الكشف عن الذات المستجムة لجميع المفات الكمالية، وإذا قلنا "إِنَّ فَالمنظور هو الممداق لا اللفظ، ودور اللفظ إشارة إلى المعنى الممدادي ولا غير، وإنَّ لا فليزم أن يكون اسمًا كسائر الأسماء يحد بحد وينعى بنعت والممداق أعظم من ذلك كمال قال الإمام أمير المؤمنين عليٌّ (ع) : "وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَهُ وَمَنْ حَدَهُ فَقَدْ عَدَهُ" ، ومعلوم أنَّ الذات المتعالية لا تكون محدودة بحد لضرورة كون المشار إليه في جهة مخصوصة تعالى إِنَّ عن ذاك علواً كثيراً ، ومن الواضح أنَّ المراد من الإشارة في قوله (ع) هي الإشارة المنشأة من الحس لا من العقل، وتصور الإشارة العقلية أيضاً عن إدراك المشار إليه بتامه مما لا يخفى على من له أدنى تأمل وخبرة في المعقولات وقد بيَّن ذلك الإمام عليٌّ (ع) بقوله: "لَا يَدْرِكُهُ بَعْدَ الْهَمْمَ وَلَا يَنْالُهُ غُصَّ الْفَطْنَ" ، ومن الممكن جبر هذا القصور بالإيمان بالغيب وإنَّ فاللهم البعيدة والفطن الغائمة لا توصلنا إلا إلى المفهوم اللفظي فقط أو إلى شعاع من نور الذات باتصالها بالكمال كلامه، وأما القلب الذي هو مجمع المشاعر الباطنة فلا تتجاوز إدراكته عن عالم الإمكان ثبوتاً واثباتاً وذات الواجب وراء ذلك كلامه وهو أجل من أن ينال بما ينال المحسوس والممکن، فكل ما يقال فيه فهو إظهار الإذعان بوجوده من القائل، فمراتب المعرفة بالذات المتعالية تختلف بحسب الملوك والاستعدادات، والملوك كما لا توصلنا إلى ذات الواجب لا توصلنا إلى صفاته أيضاً وبما أنَّ صفاته عين ذاته لا تحد ولا تعرف كما قال الإمام عليٌّ بن الحسين زين العابدين (عليهما السلام) : "كيف يوصف بمحدودية من لا يحد، لاستلزم الحد التركيب المنافي للواجب والأحدية".

ونعم ما قيل في الموضوع بأنَّ الذات الأحادية والهوية القيومية مما لا ماهية له ولا جزء لذاته فلا حد له ولا صورة تساويه فلا حكاية عنه ولأنَّ وجوده الذي هو عين ذاته غير متناهي الشدة في النورية فلا يكتنه.

فعليه إذا قلنا "بِسْمِ إِنَّ" فالمنظور فيه التوجه إلى مسماه أي الذات الأحادية، والمعنى بازهـا نبدأ باسمه تعالى بالالتفات إليه التفات الفقير على الإطلاق إلى الغنى على الإطلاق والنقص على الإطلاق إلى الكامل على الإطلاق، وفي هذا الالتفات كفاية للاستفادة مما في اسم الذات المتعالية من جانب الإفاضة القدسية.

ولا بأس هنا من الإشارة السريعة إلى لفظ الجلالة والخلاف في كونه جاماً أو مشتقاً مع انَّ للوجهين وجهاً وجهاً ، وفي روايات الباب إشعار إلى الوجهين والأقرب إلى الصواب هو الثاني بلحاظ الجانب اللفظي والأول بالنظر إلى المعنى ويقوى الوجه الأول إذا قلت بعدم لزوم الإشتقاق في كل لفظ فيكون اسمًا موضوعاً .

ولا نرى حاجة في ذكر ما يقال في أصل اشتقاد لفظ "إِنَّ" هل هو من الألوهية بمعنى العبادة أو مالوله بمعنى التحير أو من لا يعنى احتجب وغير ذلك، والعمدة هو التوجه إلى كونه علماً للذات الأحادية في البداية باسم تلك الذات المتعالية المفيدة التي نورت عالم الإمكان بنور وجودها، وأما الألف واللام فقيل هو للتعريف، والأول أقوى لغناه عن الثاني.

ولعلَّ السر في كون البداء باسم "إِنَّ" من أسمائه الحسني، ولكن يشكل بما في الآية 110 من سورة الإسراء بقوله تعالى: (فَلْ إِنَّ دَعْوَةُ الْلَّهِمَّ أَدْعُوا الرَّحْمَةَ مَنْ تَدْعُوا فَلَمَّا هُوَ الأَسْمَاءُ الْجُنُونُ)، فقد عد لفظ الجلالة من الأسماء الحسني بإضافة "الرحمن" معه، اللهم إِنَّ لا أن يقال باختصاصه بالدعاء والدعوة واما الجهات الأخرى فغير ملحوظة في الآية.

في آخر المطاف نود أن نستفيد من قبس من نور كلام المعموم (ع) مضافاً إلى ما ذكرنا من الاستعراض عن جوانب أخرى للفظ الجلالة، حيث روى الكليني في الكافي، أنَّ هشام بن الحكم سأله الإمام أبو عبد الله الصادق (ع) عن أسماء إِنَّ واشتقاقاتها، إِنَّ مما هو مشتق؟ فقال يا هشام، إِنَّ مشتق من إِله، وإله يقتضي مألوها، والاسم غير المسمى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد اشرك وعبد اثنين ومن عبد المعنى دون الاسم فذلك التوحيد، أفهمت يا هشام؟ قال: قلت زدني. قال: إِنَّ تسعه وتسعون اسمًا ، فلو كان الاسم هو المسمى لكان كلَّ اسم منها إليها، ولكن إِنَّ معنى يدل إلىيه بهذه الأسماء وكلها غيره، يا هشام الخبز اسم للمأكول، والماء اسم للمشرب والتوب اسم للملبوس، والنار اسم للمحروق.

